

توظيف المعلومات في رواية (الركض وراء الذئاب) لعلي بدر

علي إبراهيم محمد

قسم اللغة العربية – كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة بابل

ali50ibrahim@gmail.com

معلومات البحث
تاريخ الاستلام: 2020 / 2 / 19
تاريخ قبول النشر: 2020 / 5 / 10
تاريخ النشر: 2020 / 5 / 11

الخلاصة

يتكون البحث من: المرقم 1 (المقدمة) تناولت فيه شيئاً من سيرة الكاتب علي بدر الشخصية والأدبية وتأثيرها على منجزه الأدبي .

وفي المرقم 2 المعنون (معلومات تجربة الراوي في الرواية) حيث أجريت مقارنة بين مصطلحات عدة: السيرة الذاتية، (السيرة الذاتية الروائية) و(السيرة الذاتية الروائية) و(الرواية السيريرية)،(السيرة الروائية)،(ورواية السيرة الذاتية)، (رواية السيرة الذاتية الجديدة)... وكل هذه المصطلحات تؤكد على معلومات عاشها الروائي ووظفها في نصه الروائي ولأنها ليس بالضرورة أن تكون سيرته حرفياً فضلت الاشتغال على مصطلح (توظيف المعلومات) في كتابة الرواية.

وفي المرقم 3 الذي حمل عنوان الركض بين الأمكنة الواقعية ومفاراتها ، لقد اشتغل علي بدر على مفارات كثيرة أشرنا إليها. وأن الأمكنة في نظره ليست وراثية. والإرهاب يختلف حسب اختلاف الأمكنة وكذلك الديمقراطية.

وفي المرقم 4 الخاتمة: توصل البحث إلى مجموعة من النتائج ولعل من أهمها:.. إن تجربة الراوي تشكل ظاهرة في فضاء السرد الروائي.

الكلمات الدالة : توظيف المعلومات، الأمكنة الواقعية ، الزمن، المفارات.

Information Ali Badr`s Novel : "Running after Wolves"

Ali Ibrahim Mohammed

The Department of Arabic Laguna-College of Education for Human Sciences –

University of Babylon

<mailto:ali50ibrahim@gmail.com>

Abstract

The research consists of: No. 1 (Introduction), which dealt with something from the biography of the writer Ali Badr, personal and literary, and its impact on his literary achievement.

In No. 2 entitled (Information about the narrator's experience in the novel), a comparison was made between several terms: biography, (narrative biography), (narrative biography) and (narrative novel), (biographical novel), (and biographical novel), (novel The new biography) ... and all these terms emphasize information that the novelist lived and used in his narrative text, and because his biography does not necessarily have to be literally preferred to work on the term (employment of information) in writing the novel.

And in number 3, which carries the title of running between realistic places and their paradoxes, Ali Badr worked on many paradoxes we mentioned. And places in his view are not hereditary. And terrorism varies according to the different places, as well as democracy.

In number 4 Conclusion: The research reached a set of results, perhaps the most important of them are: The narrator's experience is a phenomenon in the narrative space.

Key words: employing information, real places, time, paradoxes

by University of Babylon is licensed under a Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH)

[Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

المقدمة

شيء عن الروائي علي بدر

عام 1964 ولد علي بدر في بغداد، درس في مدارس القديس يوسف في الكرادة الشرقية، وحصل على بكالوريوس في الأدب الفرنسي في جامعة بغداد في عام 1985. أدى الخدمة العسكرية بين عامي 1985 و1991 حيث أمضى نصفها في الحرب العراقية الإيرانية. دخل في دورات متخصصة في تحقيق المخطوطات وتصليحها بدار المخطوطات الوطنية في بغداد عام 1992. حاول إكمال دراسته الجامعية ببغداد عام 1996 وذلك عبر كتابة أطروحة عن رولان بارت، غير إنه فُصل لأسباب سياسية من الجامعة، قبل المناقشة. درس الفلسفة في جامعة بروكسل في بلجيكا.

دشن تيار ما بعد الحداثة في الرواية العربية، وأعماله وثيقة الصلة بحياته من جهة، ومن جهة أخرى هي مرآة عاكسة للحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في العراق. تدور جميع رواياته في بغداد وتتخذ من الطبقة الوسطى موضوعاً لها، فهو يحاول رسم صور مهمة عن التاريخ الثقافي والاجتماعي والسياسي للعراق عن طريق الرواية.

صدرت روايته الأولى "بابا سارتر" في بيروت في عام 2001، وقد عالجت الوعي الثقافي الزائف وأثر التيار الوجودي على المثقفين العراقيين في الستينيات، وقد حازت هذه الرواية على عدة جوائز، وترجمت إلى لغات عديدة، وفي هذه السنة حصل على جائزتين: جائزة الدولة للآداب في بغداد عام 2001، وجائزة أبو القاسم الشابي عام 2001 عن روايته الأولى في تونس، التي أعقبها برواية (شقاء العائلة) 2002 وعليها حصل على جائزة الإبداع الروائي في الإمارات العربية المتحدة لعام 2002.

وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق لم يصدر منه شيئاً لا عام 2003 ولا في عام 2004. ربما بسبب الفوضى التي سادت البلد. وطريقة الانقراض على السلطة من قبل الحاكم الأمريكي، حيث اختلط الفرح - بسقوط النظام الدكتاتوري - مع الخوف من القادم المجهول... وفي عام 2005 أصدر روايته الثالثة (الطريق إلى نل المطران) وفي العام ذاته صدرت له رواية (الوليمة العارية)، وقد حصلت هذه الرواية على منحة من مؤسسة الكوندور الثقافية ونشر دراسة بعنوان (أمير نائم وحملة تنتظر).

في عام 2006 أصدر رواية (صخب ونساء وكاتب مغمور)، ودراسة بعنوان (خرائط منتصف الليل).¹ في عام 2007 صدرت رواية (الركض وراء الذئاب) موضوع بحثنا، ويبدو أن المؤسسة العربية للدراسات والنشر أعادت طبع عدد من رواياته مضيئة إليها عبارة (رواية عربية)، وأرى أن هذا التوصيف غير موفق ولا أريد أن أقترح تسمية أخرى لأن الرواية ليست بحاجة لتوصيف، وهي قادرة على تجنيس نفسها.

وينبغي أن نقول إن دراستنا لهذه الرواية ليست من باب المفاضلة بين الروايات لغرض شكلي - فني أو أسلوبية معينين بل لأنها الرواية الأولى التي وقعت بين يدي وقرأتها لعلي بدر، ووجدت أن موضوع توصيف المعلومات ميزة واضحة فيها وكذلك هي ليست بعيدة عن سيرة الكاتب الشخصية حيث تم توصيف معلومات ليست بعيدة عن واقعه في الرواية، قضايا لافتة وتستحق الدراسة. وعندما قرأت روايات أخرى له وجدت أن هناك تقارباً كبيراً في طريقة تناول وهناك مساحة واسعة لهذه الظواهر في فضاء علي بدر الروائي. وفي العام نفسه صدرت له رواية شقاء العائلة بطبعها الثانية عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

وجاءت رواية (حارس التبغ) عام 2008 وبعدها بعام رواية (حارس التبغ)، وفي العام ذاته دراسة عنوانها (بين الوطن والمنفى). وأصدر في 2009 روايتين: (ملوك الرمال) و(مصايح أورشليم). عام 2010 أصدر رواية (الجريمة، الفن، قاموس بغداد)، ودراسة بعنوان: (ما سنيون في بغداد)، ودراسة أخرى عنوانها: (بطاقة دخول إلى حفلة المشاهير).

سنة 2011 أصدر رواية (أساتذة الوهم)، وبعدها بعام كتب مسرحية (القائل الخيالي). وفي عام 2013 أصدر مسرحية أخرى بعنوان (فاطمة التي اسمها صوفي) ولم يصدر شيئاً بعدها إلى عام 2015 حيث جاءت رواية (الكافرة). وبعدها بعام صدرت روايته (عازف الغيوم).

علي بدر من كتاب الرواية العراقيين، ظهر في بداية القرن الواحد والعشرين، وقد حظيت رواياته باهتمام كبير من قبل النقاد والدراسات الأكاديمية وحصل على جوائز تقديرية، ولد وترعرع في بغداد وكتب أغلب رواياته فيها وبعد هجرته إلى أوروبا واصل كتاباته وترجم العديد من نتاجه إلى عدة لغات وينتمي الروائي علي بدر إلى تيار فيها، وبعد هجرته إلى أوروبا، واصل كتاباته وترجم العديد من نتاجاته إلى عدة لغات وينتمي الروائي علي بدر إلى تيار ما بعد الحداثة، واستطاع عبر رواياته أن يجسد معاناة العراقيين مختاراً نماذج من السياسيين السابقين من الحركة اليسارية في العراق. ولولا بعض الهنات في توظيف المعلومة الواقعية التي سمع عنها أو عاشها، لكانت خياراته أنموذجاً يحتذى بها في مجال توظيف المعلومة الواقعية المأخوذة من الواقع الحقيقي المعاش. وما نراه في الرواية الجديدة هو تشابك سردي، وشخصيات متحللة، ووقائع متحركة، وغياب عن مسار الحكمة، وهناك تداخل معلومات مع بعضها، وأمكنة متعددة متداخلة أيضاً، ووصف محايد، وفقدان للدعامات الزمانية التي تميز الرواية عن الأجناس الأخرى، وتلاش للملامح المحددة وامتزاجها مع الصور المنبثقة من ضمير الشخصية.²

هذا الرأي قد لا ينسجم مع ما قدمه الروائي علي بدر، لأن رواية (الركض وراء الذئاب) تنتمي إلى الروايات التي تعتمد على المعلومة الواقعية المترابطة مع بعضها. إن الكم الكبير من منجزه الإبداعي المتميز يؤكد أنه روائي موهوب ومقتدر تعامل مع المعلومات ببراعة وحكمة راسماً شخصيات قريبة للواقع ويعد بالكثير في قابل الأعوام.

توظيف معلومات تجربة الراوي في الرواية

فالراوي يخبرنا بأنه عراقي من مدينة الناصرية، مغترب في أمريكا، متزوج من أمريكية وله بنت وولد منها، يعمل صحافياً في وكالة الصحافة الأجنبية: (MIC) أي (Media in cooperation). وللولوج في مفهوم المصطلح لا بد من إيجاد تعريف واف لطبيعة رواية (الركض وراء الذئاب) متجاوزين ما طرحه الباحثون والنقاد من تعريفات كثيرة منها: (السيرة الذاتية الروائية) و(السيرة الذاتية الروائية) و(الرواية السيريرية)، (السيرة الروائية)، و(رواية السيرة الذاتية)، (رواية السيرة الذاتية الجديدة)... وكل هذه المصطلحات تضم في طياتها جانبي الشكل والمضمون إلى جانب أساليب السرد الحديثة، وتؤكد على معلومات عاشها الروائي أو سمع بها ووظفها في نصه الروائي ولأنها ليس بالضرورة أن تكون سيرته حرفياً فضلت الاشتغال على مصطلح (توظيف المعلومات) في كتابة الرواية.

ويمكن الوقوف عند وصفين أساسيين للجنس الأدبي: "الأول عام نسبي إذ ينظر إلى النوع الأدبي بوصفه أسلوباً أكثر منه شكلاً، فيعرفه على ضوء جوهره ونظيرته للعالم وهدفه، وعليه يمكن أن تتخذ السيرة

الذاتية أي شكل أدبي³؛ "سواء رواية، أم قصيدة أم مقالة فلسفية، الخ ... قصد المؤلف فيها بشكل ضمني أو صريح إلى رواية حياته وعرض أفكاره أو رسم إحساساته"⁴ أما التعريف الثاني فتحديدي "شكلي" إذ ينظر إلى الجنس الأدبي بوصفه شكلاً أكثر منه أسلوباً، وعليه فإن السيرة الذاتية هي نوع من الأدب الشخصي، له خصائص تركيبية وبنوية وأقدم من حدها فليب لوجون 1971⁵ وهذا ما يؤكد أن المعلومات الشخصية وهي: "الاسترجاع النثري الذي يقوم به شخص واقعي لوجوده الخاص، عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة."⁶ لكن التركيز على الذات لا بد أن ينضب بمرور الزمن، لكننا في الواقع والخيال نجد موضوعات كثيرة يمكن اعتمادها في كتابة نص فيه من الحداثة والجدة ما يعفيه من التكرار سواء في الشكل أو المضمون.

ورأينا إن الروايات التي تبنى على أساس المعلومات الشخصية أو تبدو هكذا، نراها للوهلة الأولى روايات واقعية عندما تحكي عن حياة الراوي في الرواية. ولكن ليس بالضرورة أن تتناول، حياة الكاتب أو الراوي نفسه، إنما هو أسلوب في الرواية يتجسد بحياة شخصية ما واقعية أو غير واقعية. وقد يكون الكاتب يعرفها جيداً ويعرف تفاصيل عديدة وقيمة، وقد تكون القصة برمتها من خلقه، من دون أن يترك للمتلقى فرصة للشك بواقعية الشخصية، وبوجودها على الأرض. وربما قد تضخم الأحداث أو يجري تغييرها لأغراض فنية، أو مواضيعية، وفيها يتم المزج بين الواقعي والمتخيل لخلق نص إيداعي ينماز بتجسيد حالة جديدة تقترب أو تبتعد عن الحالتين: (الواقعي والمتخيل).

ولأن السيرة الشخصية قد لا تتكرر أكثر من مرة، أو أنها غير موجودة أساساً في النص على الأقل رواية (الركض وراء الذئاب) لعلي بدر. إنما فيها معلومات كثيرة عاشها الكاتب أو كان قريباً منها لذا وجدنا أن مصطلح توظيف المعلومات في الرواية من قبل الراوي العليم هي أنسب في رؤيتنا لرواية علي بدر موضوع بحثنا هذا وهذا لا يعني أن المصطلحات التي ذكرناها لا تشتغل على نتاجات أخرى واقعية وليس هدفنا رفضها، بل لا بد من الاعتراف بصلاحياتها وجدارتها قد نلجأ إليها في نصوص أخرى.

نجد في رواية علي بدر تغيير (الزمان) يرتبط بتغيير المعلومات إذ يتشكل عبر سرد الراوي-الذي هجر بلده قسراً إلى أمريكا- مكان عاش فيه أكثر من أربعين سنة. ويعبر عن موقع الغربة في نفسه: "لم أزر العراق، بلدي الذي ولدت فيه، منذ أن غادرته منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً. عمري الآن هو الخامسة والأربعون عاماً، أمضيت نصف عمري خارجه"⁷

ويربط الراوي بين تغيير شقته البسيطة المؤجرة من قبله بغيرها أفضل منها يشتريها، وبين الثورات، أي بين التفكير بتغيير المكان ويتساءل: "لماذا لا يفكر أحد بالثورة في أمريكا بينما نفكر نحن في العالم الثالث الكثير بها؟ بل أهدرت أجيالاً منا عمرها بالثورات؟"⁸

والكاتب بهذه المفاتيح وغيرها، يطرح كثيراً من الأسئلة، التي تفتح مواضيع عديدة ونوافذ مغلقة أمام القارئ.

أتفق هنا مع الناقد د. حاتم الصكر الذي فك الارتباط بين السيرة والرواية؛ "ومن أبرز الأمثلة التي نحن بصدها في بحثنا هو الخلط بين (السيرة الذاتية) و(الرواية) المكتوبة بضمير المتكلم، حيث يتوهم الدارسون وجود نوع روائي أسموه (رواية السيرة الذاتية) احتكاماً إلى موقع الراوي وضمير السرد. فكون الراوي داخلياً مشاركاً وشخصية من شخصيات العمل، واستخدام ضمير المتكلم في السرد الروائي، لا أجدهما كافيين لممارسة نقدية تقوم على قراءة تطابقية بين المؤلف والنص، أو الكاتب وشخصية (الراوي) أو السارد."⁹

بينما "انشغل (فيليب لوجون) بهذا النوع من الكتابة رغم ما يعانيه من تهميش يصل حد عدم الاعتراف به ضمن الكتابة الأدبية. لكن لوجون انصرف ينظر له ويكتشف جمالياته وفنونه إلى أن أصبح اليوم تيارا للكتابة تفرّعت عنه أجناس أدبية مختلفة."¹⁰

و"تمت استساعة المصطلح من قبل رجال الصحافة، وشيئا فشيئا استعمل "التخييل الذاتي" للدلالة على المجال الأوسط القابع بين "السيرة الذاتية" والعمل التخيلي. فنشأ من ثمة خلط نظري لاشك في جدواه بالنسبة إلى الإبداع."¹¹ وهذا الخلط جاء كون معلومات السيرة واقعية ومعلومات العمل التخيلي يبتعد كثيرا عن الواقع لدرجة يجعل المتلقي يهيم في عالم لا يجده على الأرض، "وهذا هو الذي جعل الكثير من النقاد غير المتخصصين في فن الرواية يظنون أن العناصر المشتركة المكونة للنصين كافية لتكوين رواية، لأنها كافية لتكوين سيرة ذاتية... إلا أن مكان الرواية يختلف عن مكان السيرة، فمكان السيرة معروف محدد، ومكان الرواية خيالي موظف، وزمان الرواية تقريبي، وزمان السيرة محدد، وغالبا ما يكون مثبتا بتواريخ، تقترب من المذكرات اليومية، والذكريات، وأدب الرحلات، وجولات الرحالة والدبلوماسيين، وينطبق على هذه الأنواع مصطلح البيكارسكية (picaresque)، *... والذين يرون في دمج هذه الفنون في بعضها يقضون عليها من حيث لا يعلمون، ويفقدون كل فن ميزاته وقوته، بل يسمون الأشياء بغير أسمائها، وفي هذه الحالة تضع الفنون..."¹² يبدو هذا القول مقنعا لبعض الباحثين والنقاد، لكنه غير مقنع لآخرين، وأنا لا أنكر أن هناك روايات قد نجحت عند عدد من الروائيين، لكنها لم تبين أساسا قويا يمكن أن يبني عليه من قبل الأجيال إبداعات لافتة للمتلقين، وهذا هو الفرق بين الإبداع والتحلل.

ومن خلال هذه النصوص يمكن أن نميز بين الواقعي والخيالي في السرد الروائي فلكل منهما حيزه في الرواية ووظيفته وهناك أمر ينبغي التأكيد عليه، ليس بالضرورة أن يكون الواقعي مقنعا للمتلقي بل قد يكون المتخيل أكثر إقناعا منه إذا استخدم بحكمة وبناء محكم وإن لم يكن له جذر في الواقع .

يجعل علي بدر عالمه الروائي الافتراضي نظيرا للعالم الواقعي، وهو "افتراض شخصيات ووقائع حياتية وأحداث في إطار مصنوع، والصناعة هنا مسألة تجريدية وليست عالما قائما بذاته، وما يحدد أهمية هذه الصناعة هي الخبرة أو التدريب... والرواية من وجهة نظره هي أقرب إلى الفنون الحرفية منها إلى الفنون الكتابية، والروائي أقرب إلى الحرفي أو الصانع"¹³ لكن هذا التوجه هل يبيح للكاتب تحريف الواقع أو ما يسمى بالقصة في الواقع، يجوز للكاتب أن يحذف وقائع كثيرة من القصة أو يضيف وقائع أخرى من خياله، لكنه لا يحق له تحريف ما هو واقع فعلا وبخاصة الوقائع ذات البعد العام، التي تتعلق بأحداث تاريخية أو سياسية، "فهناك افتراء على الواقع المعطى وشجب منظومة كاملة من المفاهيم لصالح أشباح غير مرئيين متعشين للسلطة والثراء الفاحش... رسم الخسارات في صورة أرباح، انفجار المكبوت في هيئة تعال يتلذذ بالتحليق فوق التواريخ والجغرافيات السياسية، نزوع قائم لتصفية حسابات مؤجلة مع كل ما هو محلي ووطني، الاصطفاف إلى جانب قوى التحريف بمجانبة"¹⁴ كما لا يجوز للروائي أن يأخذ الحالات الشاذة ويجعلها سائدة وبذلك يساهم في تشويه التاريخ. وانطلاقا من هذا التنظير نجد في رواية (الركض وراء الذئب) تعميمات غير منطقية، ولا تستند إلى الوقائع التاريخية، فهي من خيال الكاتب ووهمه وفقدانه لبوصلة تحليل المعلومات فيصل إلى صورة مقلوبة تماما وإلى مفارقات غير واقعية: "حيث يجعل من الشيوعيين الهاريين من بطش الأنظمة المتعاقبة في العراق- والذين لم يسلّموا من أذى "العهد الجديد" الذي جاء به الاحتلال عام 2003- شركاء الأمريكان في إسقاط البعثيين... وهذه ليست حقيقة ولا تنطبق على أي شيوعي

بما فيهم أولئك الذين تركوا العمل السياسي. وإذا كانت هناك حالة أو أكثر فلا يمكن أن نجعلها قاعدة نعممها ونبني عليها. ونطمس حقيقة أن الشيوعيين قد رفضوا الاحتلال، والغزو الخارجي برمته...

حالة أخرى يكتب الروائي عن إحدى شخصيات روايته وهي ميسون عبد الله فيقول: " وبعد هروبها من السجن تسللت إلى دمشق، ثم وصلت إلى بيروت وبعد ذلك لجأت إلى الدعارة لأغراض مادية محاولة إصلاح ضرر الاغتصاب السياسي، وإعادة ما سلب منها بالقوة، فجسدها ملكها ويمكنها تأجيله مرات ومرات وتقايضه بثمن دون أن تخسره تماما." ¹⁵ من أين له هذا المفهوم الأخلاقي المرفوض ليس فقط من كل الأعراف والأديان ومن التجربة الاشتراكية التي ربطت العهر ببيع الجسد وكان القانون يحاسب كل امرأة تباع جسدها وربما سمع الجميع عن نفي العاهرات إلى سبريا كعقوبة على الزنا في زمن الإتحاد السوفيتي.

هناك أخطاء في المعلومات الاقتصادية فهو لا يدري لأي قارئ يريد أن يبسط مصطلح البرجوازي والبروليتاري فيقول: " وكلمة بروليتاري وبرجوازي كنا نستخدمها بدلا من كلمتي الغني والفقير، للدلالة على هويتنا السياسية والثورية." ¹⁶ بينما هما مصطلحان اقتصاديان، لهما علاقة بعيد الإنسان أو قربه عن آلة العمل ومن عملية الإنتاج، ولذلك هناك تقسيمات لكل منهما. "لقد أصبح التاريخ أو الكتابة أقرب إلى الرواية من ناحية الاهتمام بالأوجه الثانوية والمهمشة من الحياة الاجتماعية وطابعها السردية، وقد طبق بعض المؤرخين النظرية السردية على التاريخ، ومنهم (هايدن وايت) في أمريكا، و(ميشيل دوسارتو) في فرنسا مثلاً، وأنا هنا لا أتحدث عن الرواية التاريخية بصورة سردية، مثل روايات (جرجي زيدان)، وروايات (أمين معلوف)، ولكني أتحدث عن تفعيل الوثيقة التاريخية وقوتها عبر التحولات الاجتماعية، وسنقف عند ذلك أمام مسألة في غاية الأهمية وهي إعادة بعث الروح في الوثيقة الجامدة والتي تمنحها استمراريتها نحن إزاء وسيلة يمكنها أن تعيد للبنى الموروثة روحاً معدلة ومنصورة في إطار الثقافة المعاصرة." ¹⁷

وعلى مفهوم الأمكنة يقلب الراوي المعادلة ويجعل العامل الفقير محل الرأسمالي من الناحية الشكلية، إذ لم تعد البروليتاريا هي الجائعة، والبرجوازية هي المتخمة (أصحاب الكروش) بل أخذت تصرف الأموال لكي تكون نحيفة وتجذب جنسياً، والفقراء هم "أصحاب الكروش" كما كان الأثرياء: أيام كارل ماركس والذين يتنفسون بصعوبة، ومؤخراتهم ترتد إلى الوراء بصورة مشوهة." ¹⁸

" لقد تحولت البروليتاريا من طبقة إلى شعوب برمتها. وهناك شعوب بروليتاريا من ناحية الجنس مثل الشرق الأوسط وبعض الدول في آسيا، وهناك شعوب برجوازية مثل أمريكا وأوروبا وبعض دول أفريقيا" ¹⁹.

وهذه المفارقة لا يمكن أن تصمد أمام حقيقة أن المجتمعات طبقية، إذ ما زال العالم منقسماً طبقياً سواء في أمريكا أو أوروبا دول الديمقراطيات الاشتراكية، بل أن الماركسية تصف المرحلة الاشتراكية بمرحلة طبقية. والتمايز نجده واضحا حتى في دول النفط الصغيرة التي إنتاجها يزيد عن حاجتها، ربما تقلصت الهوة بين الطبقات في الدول ذات التوجه الديمقراطي الاشتراكي، حيث لا تجد حالات من العوز والمجاعة لكن التمايز موجود، لذا أرى أن توظيف هذه المعلومات لا تصمد أمام الواقع وما هي إلا محض خيال أو هي جزء من التفسيرات أو الدراسات التي سرعان ما تدحضها النظريات الاقتصادية الحديثة بسهولة.

يمكن القول عن هذه الرواية، بأنها أسبغت على نفسها طابعا توثيقيا بنسبة معينة، وأعتقد بأن الجانب التوثيقي في أي عمل روائي، يتطلب من الكاتب أن يكون موضوعيا وحياديا أيضا في تعامله مع أحداث دخلت نطاق التاريخ، ولا أعني هنا بالطبع أن يسرد هذه الوقائع بطريقة السرد التاريخي البحت، وإنما يحافظ ما استطاع على نسيجها العام الذي اصطبغت به." ²⁰

وهنا يتطلب من الكاتب الابتعاد عن النقل الحرفي لأحداث الرواية بمكانها وزمانها وشخصياتها، خوفاً من العمل أن يتحول إلى سرد تاريخي جامد يسوده جفاف، وجمود وغياب عن الحياة التي تجري في عروقتها دماء واقعية.

الركض وراء الذئاب بين الأمكنة الواقعية ومفاراتها.

قد يكون مصطلح المكان الواقعي ذا دلالة مكانية، لكنه يمكن أن يكون له دلالة زمنية بل هو زمكاني في كل الأحوال ويدل على الشخصية أيضاً التي تمتلك موقعا في المجتمع وعندما يصبح لدينا عناصر ثلاثة هما الزمان والمكان والشخصية. وعندما يدخل الحدث بين هذه العناصر تتشكل الرواية.

ويخاطب علي بدر العالم الثالث "عيشوا حياتكم هنا في هذي البلاد، ولا تلتفتوا إلى أي شيء آخر. عيشوا في هذي البلاد، التي تعرف كيف تستثمر مواردها وموارد العالم الثالث أيضاً. فهي تأخذ موارده وطاقته البشرية وتتركه للخراب والنسيان، فما نفع ذهابكم إليه واهتمامكم به؟"²¹

والانتماء إلى المكان ليس وراثيا في نظره: "أن أولادي لا علاقة لهم بالشرق الأوسط أبدا"²² وحتى الإرهاب يحلله الكاتب بطريقة الأماكن فيصف: "الغرب مثل امرأة جميلة، طويلة، سوبرسكسي، ثرية أيضاً، وحين لم يستطع هؤلاء الإرهابيون مضاجعتها، قرروا قتلها"²³ والكاتب يذهب إلى أبعد من هذا فيجعل للزوجة مكانا وللعشيق موقعا آخر في الأمكنة والأزمنة.

الديمقراطية هي مفهوم آخر في النص ويرى الراوي: "ربما نحتاج أن نفرضها بالقوة، سنفرضها على الناس رغما عنهم، ولكنها سرعان ما ستصبح مرغوبة ومشتهاة من قبل كل الناس"²⁴ دون أن يعلم الكاتب هو يتحدث عن مرحلة من مراحل تطبيق الديمقراطية تسمى دولة الإكراه وهي تعني أن المجتمع لا يمكن أن يكون حرا وديمقراطيا ما لم ينتازل الناس عن أجزاء من حرياتهم الشخصية لصالح حرية الجماعة وهنا تمارس الدولة وفقا للدستور والقوانين سلطة إكراه الأفراد... يقول الراوي:

إن "أمريكا كانت تدعم الدكتاتوريات في العالم العربي في الحرب الباردة... ترد عليه صديقه: كانوا يدعمونها كي لا يصل الشيوعيون إلى الحكم حتى وإن أرادتهم شعوبهم عبر الانتخابات"²⁵

يعتقد الراوي أن مفهوم الأمكنة الواقعية يشغل على الثورات أيضاً: "فما عاد الثوار في المواقع والخنادق يرفعون أسلحتهم ويطالبون بالتغيير. لقد استسلم العالم كليا أتعرفين. هل يوجد اليوم جيفارا مثلا. هل هناك هوشي منه هل هناك باتريس لومومبا كي يدوخ العالم. الثوار يدخلون في المقاهي..."²⁶

هذا النص يجرنا إلى نقاش سياسي فكري وبيعدنا حقل دراستنا الأدبية النقدية أيضاً وفي البداية لا بد من القول أن التعميم المطلق في أي قضية يوقع الكاتب في المحذور فمثلا يصعب أن نقول (استسلم العالم كليا) فهذا ضرب من الخيال وتظهر بعد سنوات هذا العدد من الثورات وتفرض نفسها على الحكام وعلى الواقع السياسي في المنطقة. ويفتخر الراوي: "نحن الأمريكيين- أطلقنا الثورة في العالم دون أن نطلق طلقة واحدة"²⁷ ويعبر الكاتب عن الأمكنة والأزمنة من خلال الشخصيات السياسية كمعادل موضوعي لزماننا الحاضر، فيقول الراوي: "الثورة اليوم نحن الذين نقودها. بول وولو وفتنز هو جيفارا من دون لحية، زلماي خليل زاده هو هوشي منه من دون صلعة لامعة"²⁸

يجرى الراوي مقارنة على لسان زوجته الأمريكية التي تغير دوما في أثاث بيتها، وبين عشيقته البولونية ومنزلها المتواضع وهنا يؤكد الراوي على أن سلوك العشيقه يختلف عن تصرف الزوجة.²⁹

وعند تحليلنا لهذه الجزئية من الرواية نرى أن الكاتب جعل من زوجته الأمريكية معادلا موضوعيا للنظام الأمريكي الرأسمالي وجعل من عشيقته البولونية معادلا موضوعيا آخر للنظام الشمولي في أوربا الشرقية وتأثيرهما على شخصية الراوي: " اخترت ميمي ... وقد علمتني الحياة الأمريكية ... واخترت فيفي في أوج عملي لأن لها أفكار سياسية، وتحليلات ممتازة."³⁰ وهذا دليل على أن شخصية الراوي (البطل) موزعة بين الغرب والشرق الأوربي إضافة إلى تأثيرات دكتاتورية نظام بلده في الشرق الأوسط. وفي الغرب تتساوي الأدوار بين الضحايا والجلادين. وبعد انهيار النظام الدكتاتوري " أنهم يعيشون اليوم جنبا إلى جنب ضحاياهم، وربما في العمارة ذاتها دون أن يتعرف بعضهم إلى بعض"³¹

نوع آخر من تأثير العرق على الشخصية؛ الأسود يشعر أنه أسير لموقعه الأسود، فآدم الصحفي الأثيوبي يعبر عن انزعاجه من التصورات التي تدور حولهم فيقول: - "إننا متعينون في أفريقيا بالسواد فقط، إننا عبدة للوننا ومظهرنا. نحن أسرى لموقعنا"³² التحديد هنا ليس مكانيا أو زمانيا بل عرقيا في الزمكان.

المقارنة بين الاستعمار والثورة أخذ طابعا تعسفيا؛" الاستعمار مثل الثورة إنه تغيير مواقع، من موقع ما قبل الحداثة إلى موقع الحداثة"³³ هنا أخذ بعدا زمانيا وليس مكانيا وتحول هنا اجتماعيا من طبقة إلى طبقة أخرى من الفقر إلى الغنى.

الشخصيات التي يبحث عنها الكاتب شخصيات متخاذلة مهزومة، على الرغم من تبريرات السارد ومحاولاته لإنصافها: " كيف أطلقوا سراحه في الثمانينات؟ كان تحليلي لحظتها، ومن وضعه النفسي المعقد والمركب، أنه وشى بأصدقائه فأطلقوا سراحه."³⁴ وهنا أيضا ينتقل من دور المناضل إلى دور المتخاذل النادم البائس، مانفك يندب حظه وشعور بالإثم لا يفارقه.

تضمنت الرواية كثير من المفارقات المنطقية ونقيضها مثل: " العراق هو الآخر ركض. ركض وراء قاسم أو وراء صدام حسين حتى انزلقنا شيئا فشيئا وأصبحنا في الوحل"³⁵ على الرغم من تحفظي على المقارنة بين الشخصيين والعهدين. ولكن الأمر يدخل أيضا في المقارنة بين زمنين؛ وأراد الكاتب أن يبين الركض غير الواعي، وفقدان البصيرة والقدرة على التمييز وغياب الولاء الثابت. ويؤكد ذلك بمقولة أخرى: "ألا يمكن أن تعود خيبة الأمل واليأس من الثورة إلى ثورة؟"³⁶ وليؤكد هذا المعنى بقوله: نحن " بحاجة إلى حركة كي نتحول من الخمول إلى الفتوة"³⁷.

وهنا يأتي تغيير زمكاني ايجابي إذ يمكن أن ينتقل الإنسان من سلبية متوارثة مستديمة إلى قفزة إلى موقع يفضي إلى فضاء من التحرر والرفاهية والعالم السعيد، وهذا ليس حلما بنظر الكاتب أو خيالا علميا، إنما هو وعي واستشراف، وثقة بحركة التاريخ وبالتطور التدريجي.

الخاتمة

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1- إن هذا البحث أكد على **توظيف المعلومات** في الرواية دون أن تعني حياة الكاتب أو الراوي الذاتية بحذافيرها وبذلك تكون الرواية الأخيرة للكاتب، إنما الرواية التي تجمع بين الواقع والخيال هي سرد فني مسيرة الشخصية في الحدث المتخيل. ويمكن أن يتكرر مع شخصية أخرى في رواية جديدة.

- 2- حرص البحث على عدم خلط المفاهيم، لكي لا تخلط الأوراق مع بعضها، ودققنا بالمصطلحات وبحدودها الدقيقة، ففرقنا بين رواية السيرة وبين توظيف المعلومات الشخصية في الرواية.
- 3- قضية توظيف الكاتب للمعلومة الواقعية في الرواية، قضايا لافتة وتستحق الدراسة. وعندما قرأت روايات أخرى له وجدت أن هناك تقارباً كبيراً في طريقة تناول وهناك مساحة واسعة لهذه الظاهرة في فضاء علي بدر الروائي.
- 4- تجربة علي بدر تحتاج دراسة واسعة تشمل منجزه الكامل، وربما أكثر من دراسة، لأن كل باحث يراه، من زاوية قد تختلف عن جمهرة الباحثين.
- 5- من الممكن أن تكون الرواية التي تؤكد على فنية السرد وابتعادها عن النصوص الواقعية البحتة، التي تقترب من السطحية والتركيز على التخيل مندمجا مع الأحداث ذات الصلة بالواقع في الرواية، الأمر الذي يقربها من جنسها الأدبي الإبداعي. بعيداً عن السطحي الوعظي المباشر.
- 6- اعتمد علي بدر على المعلومات المستنتجة من الواقع وتحويلها إلى مفارقات، وعلى أساسها تصدير فكرة جديدة، تثير أسئلة كثيرة.

الهوامش:

- ¹ ينظر : ويكيبيديا، الموسوعة الحرة وموقع جائزة كتارا للرواية العربية. فلقد اعتمدت على معلوماتها في كتابة هذه المقدمة.
- ² علي بدر، بطاقة الدخول إلى حفلة المشاهير، كتابات، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1: ص 328
- ³ السيرة الذاتية الروائية في النصف الثاني من القرن العشرين، جولان حسين جودي ساني، أطروحة دكتوراه صادرة عن مجلس كلية التربية للبنات جامعة الكوفة 2008. ص 1
- ⁴ المعجم الكوني للأدب 1876 نقلا عن السيرة الذاتية الروائية في النصف الثاني من القرن العشرين، م. ن: ص1
- ⁵ السيرة الذاتية الروائية في النصف الثاني من القرن العشرين م. ن: ص2
- ⁶ نزوة ، العدد 53، الناقد والمنظر فيليب لوجون حوار حول كتابة الذات ... السيرة الذاتية - اليوميات الحميمة- التخيل الذاتي ، كمال الرياحي ، 18/7/2009 مجلة الكترونية .
- ⁷ علي بدر، الركض وراء الذئاب، ط1، 2007، المؤسسة العربية للدراسات والنشر : ص 11 .
- ⁸ الركض وراء الذئاب، م. ن : ص 15.
- ⁹ الرواية والسيرة الذاتية: من المماثلة إلى المطابقة(1): نموذج (دملان) لحبيب عبد الرب سروري، د. حاتم الصكر، صحيفة 26 سبتمبر، اليمن، رقم العدد 1207 أدب و ثقافة: ص 6 .
- ¹⁰ نزوة ، م. ن .
- ¹¹ نزوة ، م. ن .

• رواية شطارية الرواية الشطارية أو الرواية البيكارسكية (بالإسبانية (Novela picaresca): والمعروفة كذلك بالرواية الصلوكية، هو جنس أدبي نثري تميز به الأدب الأسباني حيث نشأ في القرن

السادس عشر بإسبانيا وازدهر في جميع أنحاء أوروبا الغربية في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وما زال يؤثر في الأدب الحديث. (الإنترنت).

12 التماس الفني بين السيرة والرواية «1»، د. سلطان سعد القحطاني، الجزيرة الثقافية، فضاءات العدد 247، الاثنين 7 جمادى الأولى 1429 .

13 الرواية والسيرة الذاتية م. ن، صحيفة 26 سبتمبر، اليمن، رقم العدد 1207 أدب و ثقافة: ص 6.

14 تعبئة المفاهيم الاستشراقية، جرد واستنطاق وتأويل لنصيات "علي بدر"، محمد قاسم الياسري، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة، بغداد، 2009: ص 5 .

15 م. ن: ص 60.

16 الركض وراء الذئاب: ص 138.

17 حوار مع الروائي العراقي علي بدر، أجرى الحوار أحمد الحلبي، فن أدب مجلة الكترونية .

18 الرواية م. ن: ص 34.

19 الرواية م. ن: ص 35.

20 الركض وراء الذئاب:(الركض وراء مَنْ؟؟)، عبد الرزاق السويراوي، الحوار المتمدن-العدد:2327 المحور: الأدب والفن 07/03 – 29 / 6 / 2008 .

21 الركض وراء الذئاب : م.ن : ص 25-26.

22: لرواية م. ن: ص 18

23 الرواية م.ن: ص 33

24 الرواية م. ن: ص 40

25 انظر الرواية م.ن: ص 41

26 الرواية م.ن: ص 43

27 الرواية م.ن: ص 43

28 الرواية م.ن: ص 43

29 انظر الرواية م.ن: ص 45

30 الرواية م.ن: ص 47

31 الرواية م.ن: ص 49

32 الرواية م.ن: ص 66

33 الرواية م.ن: ص 70

34 الرواية، م.ن: ص 137

35 الرواية، م.ن: ص 148

36 الرواية، م.ن: ص 149

37 الرواية، م.ن: ص 150

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر والمراجع

- 1- أحمد الحلبي، حوار مع الروائي العراقي علي بدر، أجرى الحوار فن أدب، مجلة الكترونية. تصدر على موقع ايلاف.
- 2- د. حاتم الصكر، الرواية والسيرة الذاتية: من المماثلة إلى المطابقة(1): نموذج (دملان) لحبيب عبد الرب سروري، صحيفة 26 سبتمبر، اليمن، رقم العدد 1207 أدب و ثقافة. السنة بلا.
- 3- د. جولان حسين جودي ساني، السيرة الذاتية الروائية في النصف الثاني من القرن العشرين، أطروحة دكتوراه صادرة عن مجلس كلية التربية للبنات جامعة الكوفة 2008.
- 4- د. سلطان سعد القحطاني، التماس الفني بين السيرة والرواية «1»، الجزيرة الثقافية، فضاءات العدد 247، الاثنتين 7 جمادي الأول 1429.
- 5- عبد الرزاق السويراوي، الركض وراء الذئاب:(الركض وراء مَنْ؟؟)، الحوار المتمدن-العدد: 2327 المحور الأدب والفن في : 2008/6/29.
- 6- علي بدر، الركض وراء الذئاب، ط1، 2007
- 7- علي بدر، بطاقة الدخول إلى حفلة المشاهير، كتابات، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1. سنة 2010
- 8- محمد قاسم الياسري، تعبئة المفاهيم الاستشرافية، جرد واستنطاق وتأويل لنصيات "علي بدر"، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة، بغداد، 2009.
- 9- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، مشروع موسوعة انترنت، انطلقت بتاريخ 9 يوليو 2003، ar.wikipedia.org/wiki
- 10- موقع جائزة كتارا للرواية العربية. Katara prize For Arabic Novel أطلقتها المؤسسة العامة للحي الثقافي - كتارا في بداية عام 2014. Ratedon 392. Reviews- katara city, Doha-
- 11- نزوة، العدد 53، الناقد والمنظر فيليب لوجون حوار حول كتابة الذات... السيرة الذاتية - اليوميات الحميمة- التخيل الذاتي، كمال الرياحي، مجلة الكترونية، 2009 /7/18، تصدر عن مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، و صدر العدد المئة واثنان من مجلة نزوى، سلطنة عمان على طريق تجديد النهضة والحياة.